

ويعتقد اعمال الدين يتولونها . ومن تعلم تلك العلوم وعمرن فيها حق له ايضا ما حق الاول .  
واما من كان لا علما ولا عملا فاحر يدان يعطي القوس باربها ويشتمل بما يعلمه عما لا يعلمه وما  
يفيده عما لا يفيده ولا يفيد غيره

## النار والسيف في السودان

فرار سلاتين باشا

اتضح من الفصول السابقة ان الخليفة عبد الله التعايشي كان حريصا على سلاتين باشا لا  
يسمح له بمغادرة ام درمان ساعة واحدة . ويظن سلاتين ان الخليفة كان يخشى من انه اذا  
فر من قبضته اغرى الحكومة المصرية او دولة من الدول الاوربية فتح السودان وكان واسطة بينها  
وبين قبائله لانه يعرف لغتهم ومذاهب بلادهم ولان رؤساء البلاد يحبونه ويتقنون به ويردون  
العود الى كنف الحكومة المصرية على يده . وكان للخليفة غرض آخر من ابقائه عنده وهو  
انه كان يتخذ دليلا على انتصار المهدي وارتفاع شأنها فيقول لقومه " هذا حاكمكم الذي  
كنتم تخضعون له وتأتمرون باوامره قد صار خادما من خدتي وعبد مطيعا لي . هذا هو  
الرجل الذي تمنع ببلاد الدنيا ولم يلتفت الى الآخرة صار الآن يلبس جبة مرفعة ويمشي حافيا  
في سبيل الله والله الامر من قبل ومن بعد وهو الرحمن الرحيم "

ولم يكن الخليفة يهتم باحد من اسرى الاوريين كما كان يهتم بسلاتين فكناهم بعيدتين  
عنه في ام درمان واحترفوا فيها حرقا تقوم ببيعتهم ولو بالتقتير . قالاب امر ولدري الذي  
اشتهر امره بعدئذ احترف الحياكة والاب روزينولي ويورغنتو فتحا دكانا صغيرا كانا  
يطبخان فيه ويبعان الطعام . وقس على ذلك سائر الاوريين والسوريين والاقباط وعددهم  
نحو خمسة واربعين رجلا وكلهم مأمورون بالبقاء في ام درمان ومتضامنون على ذلك فلما فر  
الاب امر ولدري طرح رقيقة يورفي السمين مقيدا بالاغلال وزادت المراقبة على بقية الاسرى  
واسكنوا بقرب المسجد حتى يحضروا الصلوات فيه دائما

وكان الخليفة مغرما بالساعات وعنده كثير منها وقد وكل سلاتين بتدويرها . وفي ام  
درمان ساعتان ارمني فكان سلاتين يمضي اليه بحجة اصلاحها واذا اراد ان يكلم احدا في  
امر اشار اليه من طرف خفي ان يوافيه الى هناك فيأتي هذا ويتاع شيئا من الساعات ولو

مفتاح ساعة لكي لا يعلم مقصدهُ ويكون سلاتين حاضراً فيهمس في اذنيه ما يريد ان يكلمه به  
 وكانت عائلته في بلاد النخسا تبعث اليه بالتقود من وقت إلى آخر وتسلطها الحكومة المصرية  
 الى بعض تجار العرب فيوصلون اليه قليلاً منها فيستعين به على اصلاح حاله وارضاه الذين حوله .  
 ورأى هو والحكومة المصرية ان لا امل بنجاته من يد الخليفة الا اذا فرّ فراراً فبذلت الحكومة  
 المصرية وسعها في حقن كثيرين من تجار العرب على الفرار به فلم تنفخ . وفيها هو يضرب احماساً  
 لاسداس ويتربص النرص بنفس كاد يزهقها القنوط وقد على ام درمان رجل من عرب العبايدة  
 اسمه ابو بكر وادعى انه فرّ من اصوان وجاء الخليفة طالباً منه النصر . ورأى سلاتين في  
 الجامع فهمس في اذنيه قائلاً اني آت لنجاتك فانظر اين نلتني فقال سلاتين هنا بعد صلاة  
 العشا . والتقى به هناك في المساء فاعطاه صندوقاً صغيراً فيه بن مدقوق وقال له تحت البن  
 طبقة اخرى فيها شيء لك فاخذ سلاتين الصندوق واخذاه تحت جيبه وهو لا يصدق ثم عاد  
 إلى بيته وفتحهُ فوجد فيه ورقة من شافر بك ( مدير قلم تحرير الرقيق في مصر ) يقول فيها اعتمد  
 على ابي بكر . والتقى به هذا الرجل ثانية فقال له انه ذاهب إلى بربر ويعود منها في الصيف  
 ويربو وكان ذلك في اوائل سنة ١٨٩٢ فقال سلاتين ان الفرار في الصيف ضرب من  
 الحال لشدة الحر وقلة الماء في الصحراء فاتفقا على تأجيله الى الشتاء التالي وذهب الرجل ولم  
 يمد الا في صيف سنة ١٨٩٣ لكن الخليفة ارتاب به حينئذ فامرهُ بحضور الصلوات الخمس  
 في الجامع كل يوم فاقام مدة ثم فرّ هارباً ولسان حاله يقول ارضى بالفرار واسلم  
 وتعهد احد التجار لتصل النخسا الجنرال في مصر ان ينجي سلاتين من امر الخليفة اذا  
 دفع له الف جنيه فوافقه القنصل على ذلك ودفع له جانباً من المال وبلغ سلاتين الخبر فتأهب  
 للفرار . وفي غرة يوليو ( تموز ) سنة ١٨٩٤ جاءه الرجل الموكل بنجاته وقال له قد أعدت  
 الجمال في المكان التالي فا عليك الا ان توافيني اليوم الليلة . فاخبر خدمه ان واحداً من  
 اصدقائه مريض وانه استأذن الخليفة بعيادته تلك الليلة وربما بقي عنده إلى الصباح . ثم  
 اقام يباب الخليفة على جاري عاديته الى ان ذهب الخليفة لينام فخرج مع الرجل الى المكان  
 المعين . وكانت الليلة حالكة الظلام فلم يجد الجمال فيه وفتشا عنها الليل كله الى قرب الفجر  
 فلم يقفها لها على اثر فعاد سلاتين بخفي حنين ولم يكذب بل يصل الى بيته حتى جاءه احد الملازمين  
 من قبل الخليفة يسأل عن سبب غيابه عن صلاة الصبح فادعى انه مريض وحقاً انه مرض  
 ممّا قاساه تلك الليلة . اما اصحاب الجمال فخافوا افتضاح امرهم وعدلوا عمّا تعهدوا به  
 وزادت آمال قومو بنجاته بعد فرار الاب امرويدر فصنع له احد علماء الكيمياء حبوباً

من الايشير تطرد النوم من الاجضان حتى يستعين بها على الفرار ومواصلة السير بالسري وبعث  
بها اليه فوصلته فظمها في ارض بيته الى حين الحاجة اليها  
وكثر الراغبون في نجاته حيثئذ ولا سيما لان المال المعين لذلك وافر وقد اصبح امره  
معروفا عند كثيرين من التجار فعهد واحد منهم اسمه عبد الرحمن انه يأتي به سالما اذا اعطي  
مئتي جنيه سلفا والثاني جنيه بعد وصوله . وكان سلاتين يعرف هذا الرجل وقد طلب منه  
ان يسعى في نجاته فتم الاتفاق معه على ذلك واعطي مئتي ريال لتفقات السفر . واتفق  
ونجت بك ايضا مع انسان آخر في سواكن على نجاته وكتب اليه الاب اهرولدر يقول ان  
رجلا اسمه كرار يعطيك ابراً فاعرفه بذلك واعتمد عليه . وارسل الرسالة مع تاجر من  
سواكن فقرأها سلاتين واخذ ينتظر الرجل

وذات ليلة كان راجعا الى بيته فرآه رجل لا يعرفه وقال له انا صاحب الابر ثم اعطاه  
ثلاث ابرات ورسالة صغيرة من الاب اهرولدر لكنه قال له ان الفرار محال في ذلك الحين  
وان تجارته لم تريح وقد خسرت ما كان معه ومات جملة . وطلب منه ان يكتب له ليعطى جانبا  
آخر من المال فكتب الى اهرولدر يخبره بواقعة الحال . وقابله في الجامع تلك الليلة وناوله  
الرسالة سرا فوضعها في جيبه وسار بها . وفيما كانت سلاتين راجعا الى بيته تلك الليلة وقد  
كاد امه ينقطع من التجارة التي يد محمد بن عم عبد الرحمن المشار اليه آنفاً وقال له قد أعد  
كل شيء والفرار في الربع الاخير من الشهر

وفي ١٧ فبراير سنة ١٨٩٥ التقى به هذا الرجل ثانية وقال له ان الجمال تصل بعد يومين  
فتقوم ليلة العشرين من الشهر . ثم التقى به بعد يومين وقال له القيام غداً مساء فكن على  
حذر . وفي اليوم التالي تمارض سلاتين وطلب من رئيس الملازمين ان يعينه من صلاة  
الصبح لانه عازم ان يأخذ شربة من السنا واتر المندي . وجمع خدمه ذلك اليوم وقال لهم  
ان قد ائتت هدايا نفيسة من اهله ولكن الرجل الذي اتى به داخل ام درمان بتغير اذن الخليفة  
وهو يخشى ان يعلم امره ولذلك عزم ان يمضي اليه تحت جنح الدجى ويستلم الهدايا منه خفية .  
وطلب منهم ان لا يستطيعوا غيابه ولو بقي الى الفجر بل يذهب واحد بداجه وينظره في مكان  
معلم لكي يعود بالهدايا . واذا حان وقت صلاة الصبح ولم يعد وارسل الخليفة يأل عنه  
فليقولوا له انه مرض الليل كله وذهب عند الفجر الى احد الاطباء وهم لا يعلمون اين هو .  
ثم فرق عليهم بعض النقود ليقنعهم انه منتظر مالا وانرافسروا بها ولم يدروا شيئا مما كان  
عازما عليه

وصلت الخليفة العشاء ودخل حرمة على جاري عادته واقام سلاتين على بابي الى الساعة الثالثة من الليل ثم خرج فالتقى بمحمد ومعه حمار فاركة عليه وساريه وكان الظلام دامساً والبرد شديداً وقد دخل الناس ييوتهم خوفاً من البرد فلم يرها احد . وسارا الهويتنا الى ان التقيا برجل يقود جملاً فقال له محمد هذا دليلك واسمك بلال فاذهب معه مزوداً بالسلامة . فركب بلال الجمل وركب سلاتين وراه فوصلا بعد ساعة الى مكان فيه ثلاثة جمال بعيران وناقة ودليل آخر اسمه حامد فركب سلاتين الناقة وهي من النوق البشارية المشهورة بسرعة الجري وركب الدليلان البعيرين وها من الجمال الحنيفة . فقال سلاتين لبلال هل اعطاك محمد دواء النوم . فقال وما هو . قال هو دواء يطرد النوم من الاجفان وقد صنع لهذه الغاية فضحك الرجل منه وقال له اي حاجة الى الدواء وهل ينام الخائف

وسار الثلاثة ينهون الارض نهياً ويطوون صدورهما على الاعجاز الليل كله واليوم التالي إلى الظهر لا طعام ولا شراب ولا نوم ولا كلام . وعند الظهر قال احدهم فقوا وانجروا المطايا فالتفت سلاتين واذا بظمن فيه جمال وخيل فقال ان نحن نزلنا رايهم امرنا واتبعونا فالاجدر بنا ان نبقى سائرين ونميل قليلاً حتى نبعد عنهم ففعلوا ثم التفتوا بعد قليل واذا بفارس من الجماعة يجري في اثرهم فقال سلاتين لحامد عد اليه واتمعه ليركنا وشأنا وارضو بلال وانا وبلال نبقى سائرين واياك ان تحبزه باسمي فماد حامد الى الفارس واقام معه برهة ثم عاد وهو يقول ابشر فان الرجل صديق لنا وهو ذاهب الى دقتلة وقد عرفك وسألني الى اين انا ذاهب بك . فقال سلاتين وما قلت له قال قلت استر علينا سر الله عليك واعطيتك عشرين ريالاً فاقسم لي ايماناً مغلظة انه يخفي امرنا واذا سأله احد عنا قال انه لم يرها قط

ولما خيم الليل نزلوا عن مطاياهم لكي تستريح وقدموا لها علفاً فلم تأكل من شدة ما حل بها من العناء فاضرم حامد ناراً ووضع عليها بخوراً ودار بها حول الجمال يخبرها قائلاً اخاف ان يكون فقهاء الخليفة قد سمروها . واقاموا نصف ساعة اخرى لكن الجمال بقيت ممتنعة عن العلف فاضطروا ان يسيروا بها على الطوى فسرت بهم الليل كله ولما اصبح الصباح وجدوا انفسهم غربي الميمنة وكانوا ينتظرون جملاً اخرى على يوم من يرب شمالاً اي بعد نحو مئة ميل فلما رأوا ان جمالهم لا يمكن ان تسير بهم هذه المسافة كلها قرروا ان يسروا الى جبال الجلف فيخبيء سلاتين فيها ويذهب واحد ويأتي بمطايا اخرى . فلما كان الظهر نزلوا تحت شجرة واستراحوا في ظلها الى الغروب ثم قاموا يسرون في تلك التفار فبانوا جبال الجلف في الصباح التالي فنزلوا عن المطايا وساقوها امامهم وصعدوا في سد الجبال وكان الدليلان

من قبيلة الكبايش وجبال الجلف من بلادها وكانا يعرفان كل طرفها وشعابها فاخيا الرجال بين الصخور وصعدا بسلاتين إلى نقرة وانزلاه فيها وابتعدا الجمال عنه حتى اذا حامت فوقها العقبان ورأها الناس لا يبتدون بها اليه . وذهب واحد منهما واتاه بزق ماء من قلت ( نقرة للماء ) في الجبال وقال له اشرب من ماء بلادنا وانظر ما اطيبه فشرب واتمشت قواه وانفقوا جبتد على ان بلالاً يركب الناقة البشارية لانها كانت اقوى من البعيرين و يضي بها الى المحطة التالية وهي على يومين منهم وهناك رجال عالمون يفرار سلاتين ومتعمدون بتعبير النيل والسير به فباتي منهم بجمال اخرى فدنا سلاتين له بالسلامة وسلم امره لله . فقام واخذ قليلاً من التمر وحمل رجل الناقة على كتفيه وسار به إلى حيث وجدها بين الصخور والادغال فاعلى ظهرها وغاب عن الابصار .

وقال حامد لسلاتين ان شيخ هذه البلاد من اقاربي وبتة على اربع ساعات منا ومن رأني ان اذهب اليه واعلمه بامرنا حتى لا نؤخذ على غرة فاذا فاجأنا مفاجي حذرنا منه . فاستحسن سلاتين رأيه وقال له خذ معك عشرين ريالاً ولكن اياك ان تجربه باسمي . فوضي حامد في المساء وبات سلاتين تلك الليلة الصخور فرائته والسماء غطاه والامال غداؤه ولو لم تكن قواه قد خارت من التعب والعناء ما غمض له جفن . ونهض عند الفجر واذا بحامد حائد مسروراً فقال له انا في حزر حريز وقريبي يقرئك السلام ويدعوك بالحفظ . ثم جلس بين صخرتين اسودتين قبائله وجعل يتحدثان إلى الظهيرة وحينئذ سمع سلاتين صوت اقدام فالتفت واذا برجل على نحو مثي ذراع منه لكنه لم يقف في مكانه بل قفل راجعاً . فاخبر حامدا بما رأى فقال حامد هو من رجائنا ولكنني ارى ان اتبعه واكلمه لئلا يكون قد رآنا ثم اسرع وراءه وجاء به بعد مدة وقال لسلاتين هذا من اقاربي امه بنت خالة امي . فسلم الرجل على سلاتين وقال له لا تخف مني ثم جلس اليه فقال له سلاتين ما اسمك فقال علي ولد فيض ولا اخفي عليك ابي كنت قاصداً لكم شرراً فاني اتيت الماء لاسمي غني فرائت اثر الجمال فاقنيتة فرائت رجلك معدودة بين الصخور فقلت في نفسي ارجع الآن ومتي خيم الليل اعود واخف السير على هذا المسافر وكنتي اشكر الله لان ابن خالتي رايتي وتبعني والآن لما عرفت في الظلام . فقال له حامد اسمع ما اقصد عليك : لما كنت طفلاً وكان الترك يحكمون البلاد كان ابي شيخاً على هذه الجبال وكانت خاصة بالسكان . وذات ليلة التجأ رجل غريب الى بيت ابي وكان رجال الحكومة يتبعونه بدعوى انه لص من قطع الطريق فاجاره ابي واخفاه . ثم ذهب الى مركز الحكومة في بربور ورشى الحكام حتى عفوا عنه واسم هذا الرجل

فيض . فقال علي نعم وهو ابني وقد ولدت بعد ذلك ولكن امي رجمها الله قصت علي هذو  
القصة مراراً . وما فعله ابوك مع ابي من المعروف افعله انا معك يا اخي والآن اتبعاني  
فاربعاً مكاناً اصح من هذا المكان للاخباء

فتبعاه نحو ميل فادخلهما إلى كهف بين الصخور يسع رجلين وقال لهما ارجعا الآن الى  
مكانكما واحضرا امتعتكما في المساء الى هذا المكان فانه استر لكما اما انا فارجع من حيث  
اتيت واندم الاخبار ثم اعود اليكما غداً مساء . ففعلوا كما اشار عليهما . وكان معهما قليل  
من الخبز فنفذ منهما ذلك اليوم . وجاءها علي في المساء ومعه وطب لبن ومنديل خبز وقال لهما  
انني لم اجد احداً يعلم شيئاً من امركما فكللا واشربا واحمدا الله فاكللا وشكراه ثم اوعز  
سلاتين الى حامد ان يعطيه خمسة ريبالات وطب منه ان لا يتردد عليهما بعد ذلك لثلاث  
يعلم احد امره

ومضى يومان آخران كأنهما عامان وفي اليوم السادس من ذهاب بلال عاد ومعه جملان  
ولكنه نسي ان يجلب معه خبزاً ولم يكن معهم غير قليل من التمر فانتظروا الى ان مضى هزيع  
من الليل ثم تزلوا من الجبل وركبوا المطايا وساروا يقطعون النياقي والري تحت جنح الدجى  
الى ان بلغوا السهل المؤدي الى النيل فقال حامد امامنا طريق القوافل الذاهبة من يرب  
فان قطعناه ولم يردنا احد امنا كل خطر . فقطعوا الطريق ولم يروا احداً وجدوا السبيل الى  
ان صاروا على ساعتين من النيل وكان قد امسى المساء فاناخوا جملهم وقال حامد وبلال  
لسلاتين انتظرنا هنا لنذهب ونأت باصحابك فذهبا وعاد حامد قبل الفجر وهو مطرق الراس وقال  
اننا لم نجد احداً منهم فتركت بلالاً لينتش عنهم وعدت اليك لانه لا يحسن ان تبقى ههنا  
فاحمل هذم القرية وتعال اتبعني اذ لا بد من الرجوع الى العقبة حيث يمكنك ان تخفي وانا  
اكتاد اهلك من التعب . فسارا نحو ساعة ثم وقف حامد واثار الى ارض كثيرة الحجارة  
وقال لسلاتين احفر حفرة في الارض واقم الحجارة حولها وتم فيها ويجب ان تبقى مخفياً عن  
الابصار الى ان اعود اليك فأخذ سلاتين يحفر الارض وكأنه يحفر قبراً لنفسه ثم اتكأ في  
تلك الحفرة ووضع قرية الماء بجانبه . واشرقت الشمس وتكدت السماء واشتد الهجير وليس  
لسلاتين سبيل ولا انيس غير الآمال وكانت جبالها قد كادت تنقطع وفيها هو ينظر في تصريف  
الزمان ويتدرد بين اليأس والرجاء سمع صغيراً فالتفت واذا بحامد آتياً وقد ابرقت امرته فقال  
له ابشر فقد وجدنا اصحابك وستلتي بهم هذا المساء

وكان كما قال فالتفت باثنين منهم في المساء فودع دليله الاولين وداع الاحياء الاصفياء

وسار مع هذين فاوصياه ان يجرد السير ويطلع حتى لا يظهر وجهه لان خبره ربه كان قد وصل الى هناك وكان رجال الخليفة يقتضون اثره برأ وبجراً . وبعد قليل وصلوا الى مكان حطوا فيه الرجال واتاهم رجل طويل القامة فاعتنق سلاتين وقال له انا اخوك احمد بن عبد الله وانا الكفيل بنجاتك قم معي فقد زال كل خطر وسار به الى النيل واخرج قارباً صغيراً من بين الخلفاء وانزله فيه وسار به الى الضفة الشرقية ثم عاد بالقارب الى وسط النيل وفتح ثغرة في قمره واغرقة وعاد الى البر سباحة

وكان غرض هذا الرجل ان يسير سلاتين تلك الليلة ولكنه قال قد مضى الآن أكثر الليل فالاصح البقاء الى الليل التالي ثم ارسله الى مكان قضى فيه بقية الليل والنهار التالي في شمس محرقة وافكار مضطربة وآمال يتنازعها الرجاء واليأس الى ان مضى ساعة من الليل وحينئذ جاءه احمد ومعه رجلان آخران وقال له طيب تسأ وقر عينا فقد نجوت من خطر عظيم ثم اخبره ان امير بربر بلغه ان الحكومة المصرية ارسلت جنوداً لتقوية حامية المرات لكي تهاجم رجال المهدي في ابي حمد فارسل ستين فارساً وثلاثمائة رجل لتجديتهم . قال وكنت قد ذهبت خروفاً لاشوية زاداً لك فرأ بنا هؤلاء الانصار الملاعين واكلوا اللحم ولم يبقوا شيئاً فهل تنتظر الى الغد حتى اهبي لك زاداً آخر

فقال سلاتين كلا بل خليني اذهب الآن رحمك الله فقال حسناً واتي بالجمال فركب سلاتين ودليلاه وسارا سيراً حثيثاً ثلاث ساعات قبل ان طلعت الشمس فانما القفر فارا فيه يومين متواصلين بلا اقطاع ولا راحة حتى بانما هضاب النوراني التي كان يسكنها عرب البشارين وهناك بشر نزلوا عندها وسقوا الجمال وملاوا القرب ثم جدوا السير حتى بلغوا ابا حمد . وكان الدليلان بلا مروءة ولا نجدة فأكثرا من التذسر والشكوى وطلبا من سلاتين ان يأذن لها بالعودة ووعدا انهما يحضران له دليلاً آخر فلم لها فاتيها برجل اتفق معه على ان يوصله الى اصوان وعادا باثنين من الجمال وبقي مع سلاتين حمل واحد ولم يأت الدليل بجمل مدعي ان جملة مع ابوه فسار على قدميه ولكنه لم يسر الا يومين او ثلاثة حتى مرض فاضطر سلاتين ان يركبه على جملة ويمشي على قدميه حافياً والارض حرة كثيرة الحزون والحجارة وتقتب رجل الجمل فاضطر ان يربطها بملاتيه التي كان يتقي بها الحر والبرد وظل على هذه الصورة الى ان بلغ اصوان في السادس عشر من شهر مارس

ولا حاجة ان نصف ما لقيه من الخفاوة والاكرام هناك ثم ما اقيمه في القاهرة وعواصم اوربا لان ذلك معروف مشهور